المصـــــدر : المجلة العربية السعودية
التـــاريخ : 01-03-2006 العـــدد : 349
الصفحـات : 28 المسلسل : 34

قراءة في كتاب

نجران الواحة والإنسان

لعبداللطيف علاقي

• عبده بن علي الحازمي •
- جازان -

ما أشبه حياة الإنسان بمركب شراعي في بحر لجي تتقاذفه الأمـواج تارة وتدفـعـه إلى شاطئ الأمان تارة أخرى فيشعر بالصفاء والنقاء ثم ما يلبث أن يعود إلى خضم تلك الأمواج يصارعها حيناً من الزمن هكذا كانت بداية حياتي الوظيفية قبل أكثر من عشرين عاماً ساقني القدر إلى نجران معلماً في معهدها العلمي تحت إدارة أستاذي الجليل وشيخي الفاضل (محمد بن حسن الحازمي) فأحببت ذلك البلد واستوطنت به مدة من الزمن تقترب من سبع سنين استطعت خلالها معرفة تلك المنطقة الغنية بتأريخها وثرائها وقابلت الكثير من الأسماء والشخصيات المؤثرة والرائدة في العمل الإداري والاجتماعي ولظروفي الخاصة رغبت في النقل والانتقال إلى بلدي ومسقط رأسي جازان وانشغلت بعملي مصدر رزقي وأسرتي وتأسيس الدار والبحث عن الاستقرار وكدت أنسى نجران التي لها بعد الله عليّ الفضل الكبير وبينما أنا كذلك إذ تصلني هدية عزيزة وغالية من صديق حميم وزميل دراسة قديم وهي عبارة عن مجلد ضخم يحمل عنوان (نجران الواحة والإنسان) لمؤلفه الأستاذ عبداللطيف طاهر علاقي ونظراً لأهمية هذا الكتاب التاريخية والتراثية والجهد الواضح الكبير الذي بذله مؤلفه إذ يعد الأول من نوعه مزوداً بخرائط إدارية وصور فوتوغرافية وجمع فيه مؤلفه بين التاريخ والشعر والأدب والعادات والأعراف القبلية والحياة الفطرية والأماكن السياحية وغيرها فجاءت نصوصه موثقة ومصادره مؤكدة مدعومة بالإحصاءات والأدلة القاطعة بوقوف المؤلف شخصياً على الكثير من الآثار والمعالم التاريخية كمسجد خالد بن الوليد وما يسمى بكعبة نجران وغير ذلك وبعد تصفحي السريع لهذا الكتاب وجدت أنه كتاب قدير يستحق القراءة ويستوجب المطالعة ولأجل هذا أحببت أن أقدم بين يدي القارئ نبذة مختصرة وقراءة سريعة موجزة لبعض ما يحتويه هذا الكتاب مبتدئاً بمقدمته الرائعة التي رسمها مهندس نجران الحديث وأميرها المحبوب صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن سعود التي بدأها بقوله: (إن هذا الكتاب جمع بين التاريخ والتراث وبين الأدب والتراجم وإن هذه المنطقة نجران من أغنى المناطق بالآثار والتراث الشعبي ولقد سرني إصدار مثل هذا الكتاب الوثائقي الذي ينفرد بتعدد موضوعاته وبدقة تحقيقه... إلخ).

وبعد هذه المقدمة نعرض الكتاب في

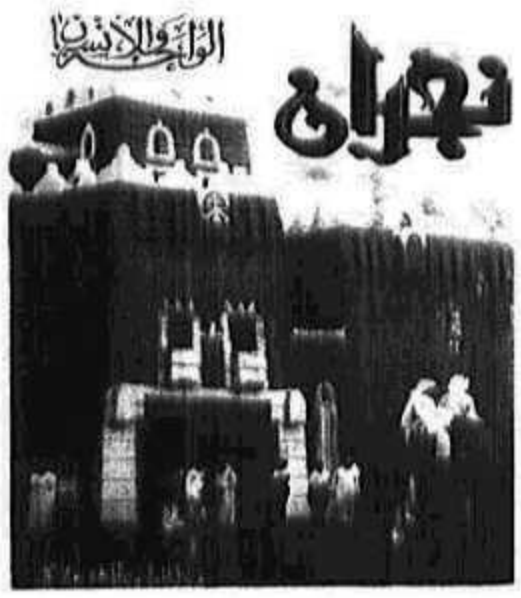

النقاط الآتية:

أولاً: نجران في العهد السعودي:

بدأ المؤلف كتابه بنبذة تاريخية عن نجران الموقع وسبب التسمية وأهمية هذه المنطقة في الماضي والحاضر ودخول أهلها في الإسلام وورودها في الشعر وذكر أبيات الشاعر الجاهلي عبد يغوث بن وقاص:

ألا لا تلوماني كفي اللوم ما بيا
فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلما أن الملامة نفعها
قليل وما لومي أخي من شماليا
أيا راكبا إما عرضت فبلغن
ندماي من نجران ألا تلاقيا

ثم تكلم عن نجران الحديثة في العهد السعودي من عام ١٣٥١هـ عندما رغبت قبائل يام في الانضمام للدولة السعودية تحت لواء الملك عبدالعزيز بعد تهديد الإمام يحيى لأهلها وطمعه في الاستيلاء على تلك المنطقة الحيوية المهمة فدار ما دار بينه وبين الملك عبدالعزيز وكانت النهاية معاهدة الطائف المعروفة وقد بلغت الرعاية الكريمة من قبل ملوك الدولة السعودية لهذا الجزء المهم من مملكتنا الغالية حيث بادر الملك سعود بزيارة تاريخية إلى نجران في رحلته الجنوبية عام ١٣٧٤هـ بعد رحيل والده -طيب الله ثراه- الذي كان له الفضل بعد الله في

المصـــــدر : المجلة العربية السعودية
التـــاريخ : 01-03-2006 العـــدد : 349
الصفحـات : 29 المسلسل : 34

دخول نجران تحت راية الحكم السعودي ثم جاءت بعد ذلك زيارة الملك خالد بن عبدالعزيز وخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عندما كان ولياً للعهد. وقد شهدت هذه المنطقة كثيراً من التطور والعمران ومعطيات التنمية التي تقف شاهدة على إخلاص الذين تابعوا بناء منجزاتها وتنفيذ سياسة الدولة لإسعاد المواطن وراحته وخص بالذكر رجل التنمية الأول في نجران معالي الأمير خالد بن أحمد السديري - رحمه الله- والرجل الذي أصبح حديث المجالس والمجتمعات بطموحاته وأفكاره الإدارية المتميزة ونظرته الثاقبة للأمور بكل جد وحزم صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن سعود مشعل الخير والبناء ومؤسس التنمية النجرانية الحديثة والعطاءات والإنجازات الرائعة المتلاحقة في بضع سنين.

ثانياً: شخصيات مؤثرة في تاريخ نجران:

وقد أورد المؤلف بعضاً من الشخصيات التي ارتبط اسمها بنجران ومن أهمها في القديم حكيم العرب وخطيبها قس بن ساعدة الإيادي وأورد أبياته المشهورة:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمشي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

وذكر أيضاً من تلك الأسماء والشخصيات زبير بن الحارث اليامي راوي الحديث الثقة الزاهد وإمام قراء الكوفة طلحة بن مصرف اليامي وفي العهد السعودي أورد شخصية معالي الأمير خالد بن أحمد السديري أمير نجران السابق والذي حكم المنطقة خلال الفترة من عام ١٣٨٢ - ١٣٩٧هـ والأمير خالد السديري شخصية بارزة ارتبط اسمه بنجران فهو مخطط مدينة الفصيلية (نجران الحديثة) ومؤسس مدينة شرورة ومركز الوديعة.

وقد تطورت نجران في عهده تطوراً واضحاً ملموساً خاصة في مجال التعليم والصحة والطرق وغيرها فكلمته كانت مسموعة وآراؤه مقبولة لأنه خال الأمراء من آل السعود بالإضافة إلى شجاعته ودماثة خلقه وعقليته الراجحة ونظرته الثاقبة حيث كان على قدر كبير من العلم والثقافة وقد كان محباً للشعر والأدب والمسامرة فكان مجلسه أشبه ما يكون بالصالون الأدبي وقد أورد المؤلف بعضاً من أشعاره الرقيقة مثل قوله:

يا فتنة العين إن العين ترعاك
والقلب يشكو تجنيك ومضناك
جد الرحيل وما جفت مدامعنا
فهل إلى دعوة بالحب ألقاك
بالأمس كنا وكان الحب ثالثنا
واليوم بنا فكيف العيش لولاك

ثالثاً: الآثار والمواقع السياحية:

من أشهر الأحداث التي ارتبطت بنجران قصة الأخدود التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة البروج بقوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود، النار ذات الوقود، إذ هم عليها قعود، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ ثم مسجد خالد بن الوليد - رضي الله عنه- وبعض النقوش والصور على الصخور والجدران من عهد حمير وسبأ وقصر الإمارة السابق في (أبي السعود) وهناك الكثير من المتنزهات السياحية التي اشتهرت بها المنطقة كغابة سقام وشعب نهوقة ومتنزه الغتمة وغيرها كثير. كما توجد هناك الكثير من فرص الاستثمار في مجال الزراعة، ومن المناطق الجميلة في المنطقة محمية عروق بني معارض التي تقع على بعد ٢٣٥ كم شمالاً ويتعايش في تلك المحمية أعداد كبيرة من ظبي الريم والمها العربي وبعض الطيور البرية كالوبر والحبارى وغيرها.

رابعاً: العادات والأكلات الشعبية:

وقد ذكر المؤلف في هذا الكتاب الكثير من عادات أهل نجران وأعرافهم في القديم والحديث ومنها ما يسمى (بالمنصد) (والرفدة) (والنحلة) وغيرها وذكر بعض القوانين المعمول بها بين القبائل كقانون (الضمة) و(الاستجارة) و(العاني) و(الجار) و(القطير) وتعرض بشيء من الاختصار لبعض الأكلات الشعبية (كالمرضوضة) و(العصيدة) و(المعصوبة) و(الوفد) و(المرق)، كما ذكر شيئاً من ألعابهم الشعبية (كالرزفة) و(الزامل) وما يصاحب ذلك من أشعار وردود، وأفرد كذلك فصولاً من هذا الكتاب تكلم فيها عن بيئة نجران وطبيعتها وبعض الروائح والنباتات العطرية واهتمام أهل المنطقة بالفروسية وحبهم للخيل والإبل وذكر بعضاً من أنواعها وأصنافها ومسمياتها وشيئاً من الحرف اليدوية التي يشتغل بها أهل المنطقة كالخرازة والحياكة وصناعة الفضة ورعي الأغنام وزراعة النخيل وغيرها.

وختاماً:

فإن كتاب (نجران الواحة والإنسان) لمؤلفه الأستاذ عبداللطيف طاهر علاقي الذي بذل مشكوراً جهداً كبيراً في إعداده وتعب كثيراً في إخراجه وتقديمه للساحة الفكرية والثقافية يُعد سفرًا ضخمًا ومجلدًا كبيرًا تتجاوز عدد صفحاته المائتين من الحجم الكبير مما جعل من الصعب عرضه وتلخيصه في كلمات محدودة وصفحات معدودة لكنه يبقى عملاً مميزاً وجهداً رائعاً راقياً في كتب التاريخ الحديثة مع تمنياتي لمؤلفه بالتوفيق والنجاح وللكتاب الرواج والإقبال.